

الثنائيات تتحدث د. سعد بن سعيد الرفاعي



هو راغب وأنا لذاك مرید

وكلاهما للمنجزات عضيد

ما بين رغبته وسطو إراداتي

سطع اليراع وإنكم لشهود

في نص العارف (الكتاب) تبرز ظاهرة الثنائيات؛ بدءًا بالعنوان (أبو الشيماء، المثقف المستنير) وكان أحدهما كافيًا، ولما ندلف للعنوان الداخلي نجد تحته عبارتي (قراءات تتبعية، ومقاربات نقدية) ثم نجد في مدخله (أبو الشيماء.. والقوافي النديات) ونجد مقدمة وتقديم، بل إنه أغرى بالثنائيات د.مدني علاقي ليأتي عنوانه متناغما (بين طيب وبين عارف)، ومن الثنائيات كذلك: الشيماء.. انبثاقاتها التراثية ودلالاتها الثقافية، وفي المحور السادس (قراءة تحليلية ومقارنة تفتيقية) ثم تأتي إلى أهم ثنائية في نص العارف في مقدمته (أنا.. وأبو الشيماء) وثنائية أخرى (هو يرغب.. وأنا أريد) وهذه العبارة ذات حمولات متعددة ودلالات عميقة، فهي تجمع ضميرين أحدهما للغائب (هو) والآخر للحاضر (أنا) وتجمع فعلين أحدهما دال على نزعة نفس أو خفقة قلب (يرغب) والثاني دال على قوة ووعي وتصميم على الفعل (أريد) والإرادة لا بد أن تشمل الرغبة، والجملتان تحملان الغياب والحضور (هو يرغب) (وأنا أريد) وكما افتتح الكتاب بثنائية الغياب والحضور تلميحاً.



يختم العارف نصه بثنائية (الحضور والغياب) تصريحاً، ولا يخفى على شريف علمكم تقديم الحضور هنا على الغياب، ولذلك قراءته، ولنا هنا أن نتساءل؟ فالسؤال بوابة المعرفة ما الحضور الذي انتهى إليه العارف في نصه؟ وما الغياب الذي يرغبه الطيب في مفتاح نص العارف من وجهة نظر العارف؟ هل هو في المسكوت عنه الذي يتطلع الدكتور العارف له بفضل المعرفة؟ أم الذي يراه مرجحاً لدي الطيب ليلزم الصمت، فتغدو فكرته رغبة عابرة دون فعل، يقابلها إرادة طاغية من العارف لتوثيق التاريخ، تاريخ مرحلته بأحداثها ورجالها، أحسب أنني لو استرسلت في الأسئلة فلن أنتهي، ولكنها إلحاح سريعة بقدر السرور والاحتفاء بكتاب الصديق العزيز الدكتور العارف والسعادة الكبرى بالشخصية الوقورة التي كانت موضوع نص العارف وكتابه الوجيه والأديب محمد سعيد طيب!!

ولا أجد ما أختم به إلا نصاً يناغم النص العارفي (القوافي النديات):

أبا الشيماء!!

أبا الشيماء والحرف الشجي

يناغم رحلة.. صخب جلي

ينال الحمد (محمود) الخصال

(سعيد) حظه.. والسعد في

كفأك الطيب منتسبا إليه

فإنك (طيب)..نسب وفي

خطبت برحلة الأيام حلما

وبعض الحلم مطلبه شهني

تطارد فكرة بيضاء تعدو

ينافح دونها إرثٌ عصي

بجامح أحرف كم خضت حربا

وهاتف ساحكم بالحب حي

جسيم الفكر.. إن يوما تنامي

بأرضٍ فكرة.. فجفاها ري

ستبقى دون موعدها المرجى

أيهنأ طاعم واللحم ني؟

هي الأيام ديدنها احتدام

أيا ظلما دون الفتك ضي

فكم ظلما أثنها يقين

ففاض النور والظلماء طي

أبا الشيماء ما أبهى لقاءً

تأنيق حبه.. فأتى الوفي

بحكمة (عارف) يرويكَ نِصا
يحفزه العطاء اليوسفي

تلاقى الطيبان فكان غرسا
جنيا.. والحضور به حفي

د. سعد بن سعيد الرفاعي

1447 / 4 / 15 هـ

